

سيبويه والمدرسة الاندلسية المغربية في النحو

للمرحوم الاستاذ : علال الفاسي

وكانت المحافظة شمار البصرة ، لذلك كانوا يقفون عند طلب الشواهد الكثيرة ، لا يكفيهم الواحد والاثنان منها ، فاذا اجتمع لديهم منها ما يطمنون اليه أسسوا عليه قواعدهم واعتبروا ما عداه شاذا ، بينما كان الكوفيون يكتفون بالسماع الصحيح ، ويستدلون بأحدث المروى عن الرسول (صلم) وعندهم الشاذ قليل .

وامتاز علماء الكوفة باتهم اول من اشتغل بقواعد الصرف ، ومن اول علمائهم في هذا الشأن معاد الهراء وابو جعفر الرؤاسي المتوفى عام 190 هـ استاذ الكسائي ينسب اليه كتاب الفيصل الذي يقال انه اول ما ألف في النحو على الطريقة الكوفية .

اما المفاربة وفي مقدمتهم الاندلسيون فقد عرفوا نحو الكوفة قبل ان يعرفوا نحو البصرة ووصل اليهم كتب الكسائي قبل ان يصل كتاب سيبويه ، ويذكر صاحب البغية ان جودي بن عثمان الطليطلي انتقل الى المشرق فاجتمع بالكسائي والقراء ، وكان اول من ادخل كتاب الكسائي الى الاندلس ، وألف كتابا في النحو ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة ، وكان مولى لآل يزيد بن طلحة العباسيين ، وقام الفضل مفرج ابن مالك بشرح كتاب الكسائي ومات بعد المائتين . اما كتاب سيبويه فاقدم من حفظه من المفاربة القرويين ابو عبد الله الملقب بالتمجة واسمه حمدون ابن اسماعيل ومات بعد المائتين .

ومع الميل الذي كان للمفاربة عموما للمذهب الكوفي ، فقد وقع منهم اقبال كبير على دراسة كتاب سيبويه والعناية به ، تاييدا ونقدا ، وقبولا وردا ، ولعل الاسباب التي كانت تدعو المفاربة على الخصوص للميل لكل ما هو كوفي ، وجههم لآل البيت ، العباسيين اولاً ، ثم العلويين بعد ان ثار هؤلاء على العباسيين ، يدل على ذلك ان المغرب في اول امره كان يميل الى فقه ابي حنيفة ، حتى تأثروا بدعوة الحسين صاحب فخر ، وتأييد مالك لدعوة محمد النفس الزكية حين قام

تحتل شيراز ومعها العالم العربي والاسلامي بفكرى رجل عظيم كان له الدور الخطير في خدمة لغة القرآن ورواياته ، وفي تقعيد قواعد النحو وفنونه ، الا وهو امام البصريين وحجة التحيين ابو محمد ابن عثمان المعروف بسيبويه والمولود باحدى قرى شيراز المسماة بالبيضاء ، فارسي الاصل ، بصري المقام ، عربي الثقافة ، وقد كان سيبويه درس الفقه والحديث والتفسير في اول حياته الدراسية ، ثم لما رأى اللحن يفتش في الناس آله ذلك فانصرف الى طلب النحو وجد في درسه وتعلمه على ائمة عصره وفي مقدمتهم الخليل بن احمد وابو الخطاب الاخفش ، وما زال يطلب هذا العلم حتى أصبح فيه املما .

واذا كان مخفقو المؤرخين للعلوم وتقسييمها اتفقوا على ان اول من وضع النحو هو الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، ثم تليذه ومريده ابي الاسود الدؤلي الذي اخذ عنه الاصول ووضع هو من المناهج والقواعد الشيء الكثير ، فان عالمين من اعلام العربية يعتبران الواضعين للعلم نفسه .

وهما علي بن حمزة الملقب بالكسائي الذي نشأ بالكوفة ، وأصبح احد ائمة القراء وصاحب قراءة خاصة به ، فهو من القراء السبعة الذين تولى القرآن بحروفهم وهو مؤسس المذهب الكوفي في النحو ، وكان هو ومحمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة حظين عند المهدي ثم الرشيد من بعده .

والثاني هو سيبويه العظيم صاحب « الكتاب » الشهير المعروف باسمه في النحو ومؤسس المذهب البصري الذي طبق الآفاق .

وبهذين الرجلين تكونت مدرستان عظيمتان في النحو جرى بينهما تنافس كبير وخلاف عظيم في طرق البحث ومناهج الاستدلال ، وعن المعروف ان سياسة الدولة العباسية كانت قائمة على تفضيل اهل الكوفة وتقديمهم على اهل البصرة لان هوى هؤلاء كان امويا بينما كان هوى الاولين عباسيا .

اتصالهم بالمذهب البصري ودراسة كتاب سيبويه ومناقشة الآراء جميعها حتى تأتي لهم ما يمكن أن يسمى مذهباً رابعاً إذا اعتبرنا الاختيارات البغدادية مذهباً ثالثاً . وانك لو اجدت في كتب النحو اضافات أحدثها علماء الاندلس والمغرب مثل أسماء ابن خروف المتوفى سنة 609 هو وابن عصفور والشلوين وابن الضائع المتوفى سنة 680 وان كان الاستاذ سعيد الافقاني لا يرى في هذه الاضافات ما يميزها عن غيرها من التخريجات المختلفة المعروضة في القضية الواحدة، أو بعبارة أخرى ليس لآراء الاندلسيين هؤلاء سمات مدرسة خاصة (2) .

ويناقش بعد ذلك فيما قاله ابو حيان في شرح التسهيل من ان ابن خروف وابن مالك شرعا الاستشهاد في النحو بالحديث ، مع ان ذلك كان معروفاً عند جماعة في القديم والحديث مستنداً لذلك ، يقول السهيلي : « لا نعلم أحداً من علماء العربية خالف في هذه المسألة (الاستدلال بالحديث في النحو) إلا ما أبداه الشيخ ابو حيان في شرح التسهيل ، وأبو الحسن الصائغ في شرح الجمل وتابعهما على ذلك جلال السيوطي » (3)

والواقع ان الذين يتحدثون عن المدرسة الاندلسية المغربية لا يرمون الى ادعاء وجودها في هذه الفترة ، أي قبل ابن حزم وانتشار المذهب الظاهري في الاندلس والمغرب ، فقد سبق ان بينا ان هذه الفترة الاولى كانت فترة الميل الى المذهب الكوفي وتفضيله على المذهب البصري ، ولا شك ان الكوفيين كانوا يقدمون العمل بالحديث على القياس على عكس البصريين ، ومن الملاحظ في عمل سيبويه انه لا يستدل بالحديث ولا يدلي به كحجة لتفسير اية مفردة لغوية أو تطبيق قاعدة نحوية ، وان كانت مادة الكتاب مليئة بآيات الكتاب الكريم الى جانب الامثال والجمال التي تتداولها الناس ، وليس معنى هذا انه لا يوجد من البصريين من يستدل بالحديث ، فالمدرستان الكوفية والبصرية التقيا عند كثير من النحويين في عدة مسائل ، ولولا ذلك لما صح ان يقال أو يظن ان هنالك طريقة ثالثة هي طريقة البغداديين مثلاً .

فالثورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه

بالدعوة للخلافة العلوية ، فاتحاً للمذهب المالكي الذي يزيد على ما سبق بميزته بالحنفية بالحديث وكون امامه عالم المدينة ، أما فيما يرجع للنحو فقد حافظ على ميله للمذهب الكوفي ، لان الكوفة امتهد بها النحو منذ تأسيس علي بن ابي طالب كرم الله وجهه له ، ناهيك ان ابا حيان الذي لم يكن يدرس كتاب النحو الا في كتاب التسهيل أو في كتاب سيبويه (1) . وهو بربري الاصل من نفزة ، وكان شديد المحبة لعلي بن ابي طالب ، وانتقل من المذهب الشافعي الى المذهب الظاهري ، وكان يقول محال ان يرجع عن المذهب الظاهري من ذاقه ، والمذهب الظاهري ينكر القياس في الفقه فاحرى به ان ينكره في النحو .

واذا كان الكسائي قرا كتاب سيبويه على الاخفش سرا ، ومات الفراء وكتاب سيبويه تحت وسادته ، مع انها كانا يخالفان مذهب سيبويه حتى في القاصب الاعراب وتسمية الحروف ، فلا غرابة ان نرى المغاربة ايضا من الاوائل الذين عرغوا كتاب الاخفش ومؤلف الكسائي ثم كتاب سيبويه الى امثال ابن مالك وابن أجروم الفاسي صاحب المقدمة المشهورة ، يعتقدون اعتناء كبيراً بكتاب سيبويه بينما يحافظون على مذهب الكوفة ثم يحاولون خلق مدرسة اندلسية مغربية ذات اضافات لما ذهب اليه البصريون والكوفيون وما اخذوا معهما فيه البغداديون .

فابن أجروم محمد بن داود الصنهاجي صاحب المقدمة المشهورة بالاجرومية ، امام النحو واستاذه في عصره ، والذي وقع الاقبال على دراسة مقدمته الصغيرة هذه حتى كانت اول ما يدرس في المعاهد الدينية في المشرق والمغرب قبل النهضة الجديدة .

كان ابن أجروم هذا من الذين يدرسون كتاب سيبويه وهو مع ذلك كوفي متمسك بمذهبه ، فقد عبر بالخفض كتباً يعبر الكوفيون لا بالجحر ، وقال الامر مجزوم وهو ظاهر في انه معرب وذكر كيفاً في الجوازم والجزم بها رأى الكوفيين وانكرها البصريون ، وكان مولده عام اثنين وسبعين وستمائة ووفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ودفن داخل باب الجديد بمدينة فاس .

استمر المغاربة في اختياراتهم الكوفية مع

(1) البغية ص 121 - (2) سعيد الاصطفي
الدراسات الاسلامية في مدريد ص 78 ع 807 (3) دراسات في العربية وتاريخها للشيخ محمد
الخضر بن الحسين ، ص 168 ط . دمشق .

زمن ابن حزم ، ولا سيما زمن الموحدين ، صاحبتهما فيما يظهر ثورة ظاهرية على المدارس النحوية ، لا أقول الشرقية كما يقول الاستاذ شوقي ضيف في مقدمة نشره لكتاب ابن مضاء في الرد على النحويين ، ولكن على جميع الذين جنحوا الى القياس وإلى التعليلات وما يضمه النحو من الحشويات التي سبق أن قال عنها الخليل أحمد حسبها نقله الجاحظ في كتابه الحيوان (لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه) (1) .

وقد درس ابن مضاء كما سيأتى كتاب سيبويه وشرح السرى عليه ، ولكن الدكتور شوقي ضيف يلاحظ بحق أن ابن مضاء لم يعن بالنحو الكوفى ، ويعمل ذلك بأنه لم يحاول التوفيق بين مذاهب النحويين وإنما كان حريصا على مهاجمة النحو جملة ، وقد اختار المذهب البصري (الذي كان شائعا من حوله) ولا يزال شائعا الى عصرنا الحاضر ، فاتخذة مسرحا لمماركه مع النحاة .

ولم يصب شوقي ضيف في هذا التعليل ، لان النحو البصري لم يكن شائعا في المغرب ولا يزال الى اليوم ، بل العكس هو الصحيح اذ ان النحوى الكوفى هو الشائع ، والمغاربة كوفيون من جهة المدرسة النحوية .

ولعل ابن مضاء وجد في النحو البصري ما يكون اهلا لان يقاوم بيننا النحو الكوفى يعنى بالسماع أكثر مما يعنى بالقياس كما سبق أن بينا ، فالمدرسة الجديدة للنحو فى الاندلس والمغرب قامت فى مهد كوفى وضدا على النحو البصري الذي كان المغاربة يعنون بدراسة كتبه الكبرى ولا سيما سيبويه وان لم يقولوا بالكثير من آرائه .

لقد أشار ابن حزم فى كتابه التقريب لحدود المطبق الى أن علم النحو يرجع الى مقدمات محفوظة عن العرب الذين يريد معرفة تفهيمهم للبعثى بلغتهم ، وأما المال فيه ففاسدة جدا (..)

ومفهوم ما يرمى اليه ابن حزم باظهاره فساد المال النحوية ، لانه اذا فسدت المال لم يبق مجال للقياس ، وهو ما يريد ابن حزم أن يطبق فيه مذهبه الفقهي بعدم القول بالقياس على النحو ، ولم يستطع

السيد سعيد الافغانى ان يتصور نحو لا قياس فيه ، كما لم يستطع الفقهاء ان يتصوروا فقها لا قياس فيه ، مع ان وجهة نظر الظاهرية واضحة لمن اراد ، لان عدم القول بالقياس يبقى ما لم يجر فيه نص على فطرته اللغوية اي سليلته العربية ، كما ان ما لم يرد فيه نص يبقى على اساس اباحتها الشرعية ، فالمذهب الظاهري فى النحو توسعة فى اللغة تمكن المجتمع من اعتماد السليقة فى ابتكار ما لم يقل لا فى القيلس على ما قيل .

واذن فقد ظل الميل المغربى لمذهب السكوفة فى النحو قائما حتى بدت نظرية ابن حزم اولا ثم جاءت الثورة الموحدية فانصرف نظاروها النظر فى ما يجب تغييره من علم الكلام . وذهب آخرون منهم الى نقض الفقه المالكي ، وطائفة ثالثة يتزعمها ابن مضاء اتجهت الى محاولة تفجير الراى الذي عبر عنه ابن حزم تفجيرا ينبع بنحو ظاهري مستقر ، وقد لا يكون ابن مضاء نجح كل النجاح ولكنه على كل حال فتح باب العمل على تعديل النحو بكيفية ايجابية او فتح باب الاجتهاد فى النحو للتقدم به الى الامام .

ومن انبث ان يقال ان هذه المحاولات لا شيء ، لان ابن مضاء لم يوفق فى بعض ادعائه ، فالنظرية لا تخرج كاملة من اول مرة ، ولذلك نجد ابن مضاء الموحدي الظاهري ينصح النحاة ولا سيما البصريين ان يفهموا منهجهم فى دراسة النحو .

ويعترف ابن مضاء للمؤسسى النحو الاولين انهم وضعوا صناعته لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير ، فبلغوا من ذلك الغاية التى املوا وانتهوا الى المطلب الذى ابتغوا ، الا أنهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافى فيما ارادوه منها : فتوعرت مسالكها ووهنت مبادئها ، وانحطت عن رتبة الاقناع حججها ، حتى قال شاعر فيها .

ترنو بطرف ساحر فاتر اضعف من حجة نحوي

على أنها اذا اخذت المأخذ المبرا من الفضول المجرد عن المحاكاة والتخييل كانت من اوضح العلوم برهانا وارجح المعارف عند الامتحان ميزانا ، ولم تستعمل الا على يقين او ما قاربه من الظنون ، (2)

(1) مقدمة ابن مضاء لشوقي ضيف

(2) الرد على النحويين لابن مضاء . ص 80 ط شوقي ضيف .

(6) الدعوة الى الغاء المال الثواني والثالث

(7) الدعوة الى الغاء القياس

(8) الدعوة الى الغاء التمارين غير العملية

(9) يطالب ابن مضاء باسقاط الاختلاف في ما لا

يفيد نطقا من النحو ، كاختلافهم في علة رفع الفاعل ونصب المفعول .

ان محاولة ابن مضاء تسهيل النحو واسقاط الحشويات من تعليمه جزء من ثورة جريئة قام بها الموحدون وارادوا ان تكون شاملة في جميع الميادين ، ولكنه كما رجع المغاربة بعد انتهاء العهد الموحي الى ما القوه من المذهب المالكي في الفقه عادوا الى اختيار المذهب الكوفي في النحو مع اقتباسات من مذهب البصريين والبيهقيين . وقد ظل ابن آجروم وابسن مالك امامين للمغاربة لم يؤثر فيها الا هذه المؤلفات المصرية الجديدة التي لم تترك للنحو العربي قيمته لما فيها من الاختصار وعدم الدقة في تفهم الالفاظ والمعاني . وهكذا نجد المدرسة الاندلسية المغربية معنية بالنقل ، اولا باختيارها المذهب الكوفي ، وثانيها بمحاولتها جعل النحو على شكل المذهب الظاهري في الفقه ، وبالعناية مع هذا وذاك بدراسة المذهب البصري وكتاب سيبويه على الخصوص ، وليس من الانصاف ان لا يعترف للغرب بما بذله من جهد في سبيل ابراز النظريات النحوية المختلفة ومحاولته الافادة منها وابتكار الجديد من غيرها .

عناية المغاربة بدراسة سيبويه :

وبعد ، فلان ما لكرناه من اختيارات مغربية ومن مدرسة اندلسية مغربية للنحو داخل في باب العناية بدراسة سيبويه ومناقشته والاخذ منه والرد عليه ، ومع كل ذلك فقد عني المغاربة دائما بدراسة ككتاب سيبويه وحفظه وشرحه والتعليق عليه ، ونذكر من الذين اعتنوا بالكتاب هذه الجماعة التي تمثل فيها وتعتبر عن قيمتهم العلمية .

(1) فمنهم عبد الله بن الجيد الفهري ابو القاسم المتوفى سنة خمس عشرة وهمسائة ، شرح سيبويه وكان من ائمة الفقه والحديث والتفنن في المعارف .
(2) ابو حيان الذي سبق ان نوهنا بعنايته بصاحب الكتاب ، وهو وان رهل الى المشرق واستقر فيه فهو بربري من شعبة البربر الذين ناروا لمذهبهم منطلقين من قبيلة نفزة التي ينتسب اليها ابو حيان ، وقد كان نحويًا العظيم ومفسرنا الكبير من اصنفاء ابن تيمية المصلح المشهور ، ولكن حدث ان سأل

وخلصة النقد الذي وجهه ابن مضاء للنحويين هو انه اعتبر ان في النحو ما يمكن الاستغناء عنه فيجب حذفه ، وذلك ينحصر في مسائل :

(1) العوامل ، اي ادعائهم ان النصب والخفض والجزم لا يكون الا بعامل لفظي ، وان الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي ، وعبروا عن ذلك بعبارة توهم في قولنا : ضرب زيد عمروا ، ان الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمرو انما احده ضرب ومعنى كلام ابن مضاء هذا ان البصريين يجعلون الفاعل مرفوعا بالفعل والخبر مرفوعا بالابتداء بينهما يجعلون المبتدا مرفوعا بالابتداء ، وقد قال سيبويه في صدر كتابه « وانما ذكرت ثمانية مجاري لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الاربعة لما يحدثه فيه العامل ، وليس شيء منها الا وهو يزول عنه ، وبين ما يبني عليه الحرب بناء لا يزول عنه بغير شيء احدث ذلك فيه » فظاهر هذا ان العامل احدث الاعراب وذلك يبين الفساد ، وقد صرح بفساد ذلك ابو الفتح بن جني وغيره ، وهكذا اخذ ابن مضاء يناقش سيبويه والبصريين في ادعائهم العوامل ويقول بابطالها .

(2) اعترض على العوامل والتقدير المَحْذُوف وقال : ان المَحْذُوف في صناعته على ثلاثة اقسام : محذوف لا يتم الكلام الا به ، حذف لعلم المخاطب به ، كقولك لمن رايته يعطى الناس اعط زيدا ، والثاني محذوف لا حاجة بالقول اليه ، وهو تام دونه ، وان ظهر كان عيبا كقولك : ازيدا ضربته . واما القسم الثالث فهو مضمحل اذا اظهر تغير الكلام عن ما كان عليه قبل اظهاره كقولنا : يا عبد الله اي ادعو عبد الله فاذا اظهر فعل ادعو تغير المعنى وصار التساء خيرا .

وقد انتقد ابن مضاء هذه التقديرات واعتبرها تمحلا لا حاجة اليه ، وقال ان اجماع النحويين على القول بالعوامل لا يعتبر حجة وينشد :

يقول من تقرر اسماعه كم ترك الاول للآخر

(3) اعترض ابن مضاء على متعلقات المجزورات وعلى تقدير الضمائر المستقرة في المشتقات واعترض كذلك على ادعاء تقرير الضمائر المستقرة في الانفعال .
(4) انتقاد تنازع العامل عن المفعول الذي عبر عنه سيبويه « بيباب الفاعلين والمفعولين الذين كل واحد منهما يفعل بفعله مثل ما يفعل به الآخر وما كان نحو ذلك .

(5) باب اشتغال العامل عن المفعول ، اي اشتغال الفعل عن المفعول لضيمه مثل قولنا زيدا ضربته .

بعضهم أبا حيان عن سيوييه أمام ابن تيمية فقال هذا الآخر : وهل سيوييه شيء ؟ لقد أخطأ سيوييه في ثلاثين موضعا ، فأعرض أبو حيان عنه ورماه في كتابه التهر بكل سوء . وقد شرح الكتاب والف الملخص من شرح سيوييه للصغار ، كما ألف التجريد لأحكام سيوييه . (1)

(3) ومنهم أحمد بن محمد بن محمد بن علي الإصبحي الشيخ شهاب الدين أبو العباس العناني ، نقل السيوطي عن ابن حبيب أنه قال عنه أنه حاز أثمان الفنون الأدبية وملك زمام العربية ، وانتقل إلى الشام وتفقه الشافعي ، شرح كتاب سيوييه وكتاب التسهيل لابن مالك ، وكان قد أخذ عن أبي حيان ، ومات في تاسع عشر المحرم سنة ست وسبع مائة وسبع مائة .

(4) أبو بكر الجذامي المالقي : قرأ النحو على الشلوين ، صنف شرح سيوييه كما شرح أيضا الفارسي ولع بن جني ، توفي يوم السبت ثامن رمضان سنة سبع وخمسين وست مائة .

(5) محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللخمي اللغوي التحوي السبتي ، نسب له التجيبي في رحلته المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ، قال ابن الأبار له كتاب الفصول و الجمل في شرح أبيات الجمل ونكت على شرح أبيات سيوييه للأعلام ولحن العامة وشرح الفصيح وشرح مقصورة بن ريد ، كان حيا سنة 557 .

(6) محمد بن حجاج الحضرمي أبو عبد الله وأبو بكر الوزير المعروف بابن مطرف قرأ النحو على الشلوين وكان يحفظ كتاب سيوييه وله تقييد على جمل الزجاجي ، قال تقي الدين الفاسي أنه جاور ببكة وكان من الصالحين ، ومات ليلة الخميس ست رمضان سنة ست وسبع مائة .

(7) محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الانصاري المالقي المعروف بالشلوين الصغير ، أخذ العربية والقراءات عن عبد الله بن أبي صالح ولازم ابن عصفور ، قال السيوطي في البغية أنه شرح أبيات سيوييه شرحا مفيدا واكمل شرح شيخه ابن عصفور

على الجزولية ، مات في حدود سنة ستين وست مائة عن نحو أربعين سنة .

(8) محمد بن علي بن يحيى قاضي الجماعة المعروف بالشريف شهرة لانسبا كذا قال السيوطي في البغية ، قال أبو حيان في النصار كان بمراكش في زمن ابن أبي الربيع يدرس كتاب سيوييه والفقه والحديث ويميل إلى الاجتهاد ، قرأ عليه أجلم أبو عبد الله الصنهاجي وأبو إسحاق العطار شارح الجزولية . مات بمراكش عام اثنين وثمانين وست مائة .

(9) محمد بن علي السلاوي التحوي : قال في البدر السافر ، كانت له شهرة بمراكش وكان يقرأ كتاب سيوييه ومن أحفظ الناس لكتاب الكامل ، مات سنة خمس وست مائة . (2)

(10) عبد الله بن محمد بن عيسى « كان يختصم كتاب سيوييه في كل خمسة عشر يوما يعني كما يتلى القرآن أو كتب الحديث » . (3)

(11) الأعلام يوسف بن سليمان الشنفرى شرح أبيات الكتاب وشرحه مطبوع في ذيل كتاب سيوييه من طبعة بولاق .

(12) ابن الطراوة سليمان بن محمد المالقي (528) تلميذ الشنفرى ، قرأ عليه كتاب سيوييه ، ألف المقدمات على الكتاب ، كما أن له اعتراضات على الكتاب .

(13) علي بن محمد الكتامي الأشيلي (680) كتب ردا على اعتراضات ابن الطراوة على كتاب سيوييه .

(14) أبو حفص عمر بن عبد الله المسلمي الأغماتي ، ولد باغمات وانتقل للسكنى بمدينة فاس ، أخذ عن أبي بكر بن طاهر كتاب سيوييه ، وكان من الشعراء المجيدين ، مات سنة 604 وهو قاضى باشييلة وكان قبل ذلك قاضيا بفاس .

(15) ومن كبار الشخصيات الذين عنوا بشرح سيوييه وقراءته أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ، ولد بسبته وتوفي بفاس سنة 657 وهو صاحب الرحلة المشهورة المسماة (ملء العيبة بطول الفية في الوجهتين الكرنتين إلى مكة وطية) وله شرح على كتاب سيوييه .

(1) السيوطي ، بغية الوعاة ص 121 .

(2) بغية الوعاة ص 84 .

(3) مراتب النحويين ص 65

كرسى سيويه والنحو في جامعة القرويين :

خاصا بالنحو تعاقب عليه جملة من العلماء ، وفي مدرسة الصهرج كان هناك كرسى للغة والنحو ، وكذلك كرسى مدرسة العطارين للغة والنحو ، فقد سبق ان قلنا ان مدرسة العطارين كانت تحتوي على كرسى للنحو الذي درس فيه كتاب سيويه الى بداية القرن التاسع وهناك كرسى آخر بمدرسة فاس الجديدة للغة والنحو ايضا . ومثله بمدرسة الوادي للغة والنحو ، وكان بمسجد الرصيف كرسى خاص بالنحو ، وبمسجد الشراطين كذلك كرسى خاص بالنحو (1) .

من المعروف في حالات الاوقاف المغربية ان هناك وقفا على كرسى لقراءة كتاب سيويه يعين له كبار العلماء ويحضره الذين يريدون التخصص في النحو ومعرفة الاسلوب البصري ومنهج سيويه ، وقد ذكرنا في ترجمة المكودي شارح الالفية وهو ابو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسي انه كان يدرس كتاب سيويه في مدرسة العطارين ، وانه آخر من درسه بفاس ، وعليه فقد كان قبله مواظبون على تدريسه ، وقد لا يكون التدريس للكتاب مستمر بصفة غير منقطعة ولكن الذي لا شك فيه ان تدريسه وقع بفاس بعد المكودي ومن الذين درسوا سيويه ابو حفص الفاسي .

وقد وضع جزء من كتاب سيويه ضمن برنامج الاجازة التي نظمها الفرنسيون لتخريج حملة الشهادة العربية الاصلية من الفرنسيين الذين كانوا يعدونهم للترجمة في المستعمرات والبلاد المحمية ، وقد رايت واحدا من هؤلاء الذين كانوا يعدون لامتحان هذه الشهادة ياخذ من ابن عمنا سيدي عبد السلام الفاسي دروسا بالمشافهة والمراسلة في الجزء المقرر من كتاب سيويه ، واعتقد ان حملة هذه الشهادة من المغاربة درسوا ذلك الجزء من الكتاب .

وقد اهتم الاخ عبد القادر زمامة من خريجي القرويين بكتابة فصل في مجلة (دعوة الحق) العدد السابع السنة الخامسة ص 43 يدعو فيه الى اعادة الاهتمام بكتاب سيويه ودراسته ، وهكذا فان مقام سيويه وكتابه عظيم في المغرب لم يمنع المغاربة من العناية به ميلهم للنحو الكوفة ولا محاولة اقامة مدرسة مغربية ، الامر الذي يدل على انهم ادركوا مقامه وقدره قدره وهو بالعناية جدير .

رواية المغاربة لكتاب سيويه وسندهم في ذلك

اعتاد المغاربة اقتداء باخوانهم في الشرق ان ياخذوا كل العلوم بطريق الرواية والاسناد ، ويعتبرون الرواية ولو بطريق الاجازة هي التي تنقل العلم من الاستاذ الى التلميذ ، فكما يسندون القرآن الى ائمة القراءات وعن اخوها وحفظوها ، ويسندون الحديث الى روايته ، كذلك يسندون الكتب الى مؤلفيها والعلوم الى مؤسسيها عن طريق ائمتها ، ومن ثم نجد المقاربة معنيين برواية النحو واسناده الى مؤسسه

ويظهر ان الفية ابن مالك والتسهيل وتوضيح ابن هشام وغيرها من الكتب الشهيرة في النحو كان لها الحظ الاوفر بعد هذا العصر في دراسة النحو في جامع القرويين والمدارس المضافة اليها ، واذا عرفنا ان الاسلوب المتبع سابقا في دراسة العلوم في القرويين يرجع اختيار الاستاذ والكتاب فيها الى الطلبة انفسهم ، واذا كنا نعلم ان المدارس التي يسكنها الطلبة وتحيط بالقرويين كانت فيها قاعات فيها كراسى متخصصة لدراسة العلوم التي من بينها علم النحو في القرويين والمدارس المحيطة بها ، نيقنا انهم درسوا سيويه الى جانب ما درسوه من كتب النحو المشهورة .

وقد عدد الاخ الاستاذ عبد الهادي التازي في كتابه جامع القرويين المجلد الثاني منه عدد الكراسى التي كانت مخصصة للنحو والغة معا والبعض منها الذي كان مخصصا للنحو فقط ، واقدم هذه الكراسى العلمية هو الكرسى الذي كان بمدرسة الحلفاويين التي سميت بعد مدرسة الصغارين وكان يقرأ فيه اللغة والنحو ، ومن مشاهير الاساتذة الذين درسوا فيه الشيخ سيدي احمد السراج ، ومثل ذلك يقال عن مدرسة الخصة التي كانت معدة للغة والنحو ، وقد كان من جملة اساتذتها الذين درسوا النحو بها قاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي الذي تولى تدريس المبنى كما درس بها كتاب سيويه والسري وابن مالك وابن آجروم والمكودي ، وكان كرسى المدرسة المتوكلية

(1) انظر تفاصيل هذه الكراسى واوقاتها في الفصل الذي كتبه السيد عبد الهادي التازي في كتابه عن القرويين تحت عنوان (المدينة ذات المائة والاربعين كرسى) ص 379 ، ج 2 .

الاول على بن ابي طالب ، ورواية اهم مدونته وفي مقدمتها كتاب سيبويه ، وقد سبق ان قلنا ان الرواية عن سيبويه كلها تمر عن طريق الاخفش ، يستوي في ذلك المسندون من المشاركة او من المغاربة .

وسنجزئ هنا بسندنا في النحو الى الامام على ابن ابي طالب عن طريق الاخفش وسيبويه فنكون بذلك قد ذكرنا السند الموصل بالاجازة لكتاب سيبويه والمرفوع الى المؤسس الاول للنحو ابي الحسين كرم الله وجهه ، فنقول رويانا النحو ايجازة وقراءة من استافنا العلامة المرحوم سيدي احمد العمرانسي وشيخنا ابي حفص عمر الحرسى المذنى التونسي الاصل المتوفى بالمدينة المنورة وذلك حين قدومه الى مدينة فاس ، عن شيخهما ابي الحسن على بن طاهر الثوري ، عن عبد القادر بن احمد بن ابي جبيدة الكوهن الفاسى عن الشيخ المحقق الطيب بن كيران وابي العلاء المراقى الحسينى وابن عبد الله الزروالى فالاولان عن والد الثماني زين العابدين العراقى والآخر عن الاول وعن ابي محمد بن عبد القادر بن شقرون وهما عن ابي حفص الفاسى وابي السعد عبد المجيد الحسنى الثماني الشهير بلزبدي زاد ابو العلاء بالاخذ عن الشيخ التاودي ابن سودة والثلاثة عن العلامة الحافظ التحوي سيدي محمد الجندوز المصودى وابي العباس سيدي احمد الوجارى القضاعى وهما عن الشيخ المسناوى والعلامة سيدي محمد بن زكري والعلامة سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الحسنى وهم عن الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الفاسى وابي الفضل العربى بن الحاج ، وهما عن والد الاول بسنده الى ابن حجر عن ابي الفرج العربى عن يونس المسقلانى عن محمد بن الفضل المرسى ، عن زين بن حسن الجندوز عن عبد الله الخياط ، عن المبارك الدباس ، عن عبد الواحد بن برهان ، عن ابي القاسم النيفى ، عن ابي الحسن الرمانى عن ابي سعيد السيرى عن ابي بكر محمد بن السراج وعن طريق سيدي احمد بن العربى بن الحاج عن الشيخ ابي سالم العياشى اجازة عن الشيخ شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجى عن العلقمى ، عن السيوطى ، عن ابن مقبل عن الصلاح ، عن ابي عمر ، عن الفخر البخارى ، عن ابي حفص ابن طبرزه ، عن ابي بكر

الانصارى ، عن ابن محمد الجوهري ، عن ابي على الفاريسى ، عن ابي بكر السراج المتوفى سنة 276 ببغداد عن الجرمى والمازنى ، عن ابي الحسن الاخفش عن سيبويه وهو ابو عمر بن عثمان بن قنبر البصرى المتوفى سنة 180 عن الخليل بن احمد الفراهيدى المتوفى سنة 170 عن ابي عبد الله بن ابي اسحاق وعيسى ابنى يعمر وابي عمر بن العلاء ، وهم عن غنبة الفيل وميمون الاقرن ويحيى بن يعمر وعطاء وابي حرب ابنى ابي الاسود الدؤلى رضى الله عنه ، عن سيدنا ومولانا على بن ابي طالب كرم الله وجهه . قال الكوهن فى فهرسته بعد ذكر السند السابق وهو ابي سيدنا على واضمه كما اخرجه الزجاجى فى اماليه والبيهقى فى شعب الايمان وابو الفرج فى الاغانى من طرق متعددة ، وهذا بعض مظهر قوله (صلم) « انا مدينة العلم وعلى بابها » اخرجه الترميذى والحاكم عن سيدنا على كرم الله وجهه ، واخرجه الحاكم ايضا والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ومن هذا رغبمقدار العناية التى كانت للمغاربة بنحو البصريين والىولى منهم ، وان كانوا اميل الى النحو الكوفة مقر على ابن ابي طالب كرم الله وجهه المؤسس الاول للنحو وان كانوا قد وضعوا فى احدى مراحل تاريخهم مدرسة انطلسية مغربية تختلف فى الكثير عن مدرسة البصرة . ولا شك ان التفكير بدور المغرب فى هذا الفن وعنايته برجال الكبار فى المشرق والمغرب واعطائهم لسبويه نفس الاعتبار الذى يعطونه للعكسائى يبين مقدار الوحدة الثقافية التى كانت تربط العالم الاسلامى ، وتعمل من الكسائى والاخفش وسبويه وغيرهم من رجال المعجم ، والجزولى وابى حيان وابن اجرى وغيرهم من ابناء البربر المغاربة ، ائمة علم العربية وابطال الوضع لقواعدها وارساء مبانيها الى جانب الاجلاء لاسرارها ومعانيها ، ليس فى هذا ما يجعل حضارة الاسلام وثقافته مشتركة بين شعوبه وتراثا قوميا لكل المسلمين الذين وحد القرآن بينهم وجعل اللسان العربى مظهرا من مظاهر توحيد الامة المحمدية الخالدة .

علال الفاسى